النفس (ص ١٨٩) واعادة النظر في موقفها من بريطانيا . فقد اعتبرت الزعامة الصهيونية التعليمات التي احتوى عليها الكتاب الابيض ، وخاصة تلك التي تقيد حرية اليهود في شراء الاراضي العربية في فلسطين ، وبالتالي تعرقل عمليات الاستيطان الصهيوني ، وتحدد الهجرة اليهودية الى البلد ضربة مؤلمة للاسس الرئيسية التي تقوم عليها الصهيونية ونهاية لـ ٢١ سنة من التعاون ضمن اطار سياسة اقامة الوطن القومي (ص ٩)، نتيجتها القضاء على الاماني الصهيونية في اقامة دولة فلسطين ، ولهذا ينبغي مقاومتها والعمل على تغييرها ، او التحايل عليها والاستمرار في بناء الكيان الصهيوني . وهي الطرق التي اتبعتها الحركة الصهيونية في علاقتها مع بريطانيا منذ نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وحتى خروج البريطانيين من فلسطين سنة ١٩٤٨ .

كان من بين النتائج الرئيسية لصدور الكتاب الابيض ، على الصعيد السياسي ، تقوية الاتجاه الصهيوني المؤيد لقيام دولة يهودية في فلسطين ، دون الاعتماد بشكل رئيسي على بريطانيا او حتى من خلال الصراع معها وازدياد نفوذ الفئة المؤيدة لهذا الاتجاه ، بزعامة بن — غوريون ، ومن خلال خلاف مع وايزمن (ص ١٨٨ و٨٠٦) . وقد استمر هذا الاتجاه سائدا حتى اقامة اسرائيل وظهر بوضوح في مقررات مؤتمر بلتيمور (١٩٤٢) ومقررات المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦) . أما الخطوة الاولى التي ترتبت على ذلك الاتجاه فكانت اتخاذ ادارة الوكالة اليهودية، في حزيران ١٩٣٩ ، قرارا يقضي باعداد الهاغاناه « ليس لاغراض الدفاع فقط ، وانما كنواة الجيش اليهودي » (ص ٤٢) ، بعد أن كلفت بن — غوريون بتنظيم شؤونها . وقد كانت هذه الخطوة بمثابة تدشين فترة من ٢٥ عاما استمر بن — غوريون خلالها بالاشراف على الشؤون العسكرية، ففي عام ١٩٤٦ كلف برئاسة « دائرة الدفاع » التابعة للوكالة اليهودية (ص ١٣٢٢) ، ومع اقامة اسرائيل اصبح اول وزير دفاع لها واستمر يحتفظ بمنصبه هذا ، عدا فترة قصيرة ، حتى اعتزاله الحياة السياسية سنة ١٩٦٣ .

ان الاتجاهات التي أشرنا لها ، والاعتبارات الكامنة وراءها ، هي التي بلورت مواقف الجناح العمالي الصهيوني ودفعته الى اتباع سياسة مرنة ، لدعم قوته وصقلها من خلال التعاون مع الفئات الصهيونية الاخرى التي استطاع كسبها الى جانبه ، او التعاون مع جزء منها دون الاخر، بين الفينة والاخرى ، حسب متطلبات الوضع الراهن . كذلك اتبعت الزعامة الصهيونية نفس السياسة مع بريطانيا ، فتعاونت معها من حين لاخر خلال فترات معينة ، او في مجالات معينة تعود عليها بالفائدة ، ولم تتردد في مقاومتها بالنسبة للاجراءات التي تعتبرها الصهيونية مناهضة لمصالحها الحيوية ، حتى خلال فترات التعاون مع بريطانيا .

كان من بين اولى الاجراءات التي اتخذتها القيادة الصهيونية بعد قرارها تحويل الهاغاناه الى « نواة للجيش اليهودي » ، بعد صدور الكتاب الابيض ، توسيع قاعدة المنظمة الشعبية واقامة « رئاسة اركان » لها مشكلة من ممثلين عن حزب مباي ، زعيم الجناح العمالي من جهة ، « المدنيين » (الفئات اليمينية المعتدلة — فيما بعد حزب التقدميين) ومنظمة همزراحي المتدينة (فيما بعد الحزب الديني القومي) من جهة اخرى، على أساس التساوي بين الطرفين ، رغم ان قوة الجناح العمالي ، عدة وعددا ، كانت تفوق باضعاف قوة الطرف الاخر ، وذلك في محاولة ناجحة لعزل المنظمة العسكرية الاخرى المناوئة للهاغاناه ، اتسل ، التي كانت خاضعة لسيطرة اليمين المتطرف من الصهيونيين الاصلاحيين، بزعامة جابوتينسكي ، واتباعهم . ولقد استمر هذا الاتفاق ، الذي أسفر عن اقامة هاغاناه متماسكة، والتعاون بموجبه قائمين ، رغم التعديلات التي ادخلت عليه (ص ٥٣ — ٥٥ و ٢١٥ — ٢٢٥) حتى ١٩٤٨ ، بل اتضح انه لا يزال ساري المفعول حتى اليوم ، اذ أن تلك القوى اصبحت فيما بعد القوى الرئيسية التي شكلت معظم الحكومات الاسرائيلية .

بعد تشكيل « رئاسة اركان » الهاغاناه ، دار البحث في المنظمة حول « الاجراءات » التي ينبغي اتخاذها ضد السلطات البريطانية في فلسطين ، ردا على سياسة الكتاب الابيض ، غير انه قبل الانتهاء من تلك المداولات ، نشبت الحرب العالمية الثانية في اول ايلول ١٩٣٩ ، مما دفع المنظمة الى تعديل سياستها والاتجاه نحو التفتيش عن